اول ممثّل شرقي

ونعنى به « جورج افندي ابيض » ، أو كما تسميه جرائد اوربا « المسيو ابيض الممثل المصري الفتى »

لاتدهشْ ايها القارئ لهذا العنوان ، ولا تستغرب هذا الوصف اذا ما وصفنا به هذا الشاب مع كثرة الاجواق ووفرة الممثلين عندنا . فهو اول ممثل تخرّج في المدارس العالية ودرس هذا الفن على اربابهِ في اوربا شأن الممثلين في الغرب

اذاعت الجرائدُ المحلية خبر قدومه القريب الى الاسكندرية ومصر مع جوق فرنسوي . ورحبت به تلك الصحف ترحيباً يستحقه ، كما ودّعته صحفُ باريس باطيب كلمات الوداع ، واحرّ كلمات التنشيط ، وما فتحتُ هذه الايام جريدة فرنسوية حتى رأيت فيها رسم ابيض وقرأت فيها ثناءً جماً على حسن استعداده

قالت الطان : احرز الفن التمثيلي الفرنسوي نجاحاً جديداً بتخريج هذا الشاب الاجنبي الذي اعرب عن صفات بديعة

وقالت المأتان : سيسمع المصريون لاول مرة رواياتنا الجميلة على لسان ممثل مصري

وقالت الجورنال : فتى كان بالامس مجهولاً وسيصبح غداً مشهوراً

وافاضت هـذه الجرائد وغيرها كالفيغارو والبتي جورنال وجريدة المراسح في الكلام عن ممثلنا الجديد

شكري غانم فتح الملاعب الفرنسوية بروايته ، وجورج ابيض استولى عليها بالقائهِ ...

عرفتُ جورج ابيض منذ سنتين وقابلته طويلاً ثاني مرة منذ سنة قبل رجوعهِ الى باريس لتأليف الجوق المائد الينا به الآن . وقد سمعته يمثّل قِطعاً من اشهر الروايات في بعض المجالس الخصوصية . فرأيتُ منه ممثلاً بارعاً قادراً ، ينشد الشعر بفخامةٍ وجزالةٍ في الصوت ، ولطافةٍ ورشاقة في الحركة ، وحدة وبريق في العينين ، فتتغلغل نبراتهُ من السمع الى القلب ، وتستوقف حركاتُه النظر ، وتنفذ نظراته في الفؤاد ، حتى اذا ما ترك المرسح وعاد يُحدّثك ، رأيت فيه شاباً لطيفاً طيب المعشر ، بل تكاد تجد فيه شيئاً من البرودة والجمود

وقد خصته الطبيعة بصفات ثمينة للممثل ، فهو عذبُ النطق فصيحهُ ، عريضُ الصدر قويُّه ، يتدفق صحةً وعافية ، يُحب فنّه الجديد حباً اشبه العبادة ، وقد قرن كلّ ذلك بارادة شديدة حملته على تذليل كل الصعاب للوصول الى تحقيق امنيته ، ومضاهاة الغربيين في فن الالقاء

وقف على المرسح لاول مرة في مدرسة الحكمة في بيروت حيث مثّل وهو تلميذ صغير دورًا في رواية « الدراهم الحمراء » فسرَّ واعجب من سمعه . وجعل التمثيل منذ ذاك العهد نصب عينيه

كبر التلميذ وانهى دروسه ، ودخل العالم « ذلك المرسح الكبير » حيث تمثل امامنا كلَّ يومٍ الف رواية ...

واتفق منذ خمس سنوات انه لما كان رئيساً لمحطة سيدي جابر أُقيمت

حفلة خيرية في الاسكندرية تحت رعاية سمو الجناب الخديوي ، مُثلت فيها رواية « البرج الهائل » وكان جورج ابيض يمثل فيها دور « بوريدان » . فسرَّ سمو امير مصر من حسن استعداد الشاب وما عرف عن ميله الى مزاولة تشخيص الروايات . فارسله الى باريس ، ليتقنَ هذا الفن ، ويطّلعَ على دقائق اسراره

ذهب الشاب الى عاصمة الفن الكبرى وملء قلبه السرور وملء صدره النشاط . فقضى هنالك خمس سنوات يدرس ويتمرن على ايدي الممثل الاشهر « سلڤان » حتى اصبح الاستاذ مراراً كثيرة يعهد بادواره الى تلميذه

قال لي ابيض قبيل سفره الاخير : « انا ذاهب هذه المرة لاعود اليكم بحوق سأؤلفه هناك فاعرض على ابناء وطني نتيجة جدي وكدي فعسى ان يرضوا بها »

وتلقيت منه رسالة في هذا الاسبوع يقول فيها: « ها قد انجزتُ وعدي ، ووصلت الى غايتي . وفي اخر الشهر تقابلني في الاوبرا الخديوية ان شاء الله » وهناك سنقابله ، وهناك سنصفق له اعجاباً ، في روايات : بريتانيكوس وأوديب الملك والبورغراف وهوراس واندروماخ الخ ...

ومهما اخلصنا له التهاني الآن ، ومهما اسمعناه من كلمات الاطراء فهي لا تعادل ما سنقابله به يوم يبرز لنا في رواية عربية مع جوق وطني ، فيومذاك فقط يكون قد قام بالخدمة المطلوبة ...

في جنائن الغرب

ننشر تباعاً تحت هذا العنوان خير ما يؤخذ عن آداب الغربيين قديماً وحديثاً ، لان ذلك يكسب لغتنا ثروةً طائلةً من المعاني والافكار الجديدة ، ويطلعنا على مجرى الحركة الادبية عند الامم

﴿ رواية شانتكلير ﴾

ومن لم يسمع برواية شانتكلير ؟ فان ذكر مؤلفها — ادموند روستان — قد طبَّق الافاق . وحديثها قد شغل الصحف والاندية والمجتمعات الادبية لما فيها من الجمال الفتان والتفنن الغريب

﴿ ١ — حول الرواية ﴾

قضى روستان عدة سنين في تنسيق مشاهد هذه الرواية وصياغة اشعارها والعالمُ الادبيُّ ينتظر بذاهب الصبر شقيقة روايتيْ « الا يجلون » و « سيرانوده برجراك » إلى ان كان الشهر الماضي فبرزت رواية شانتكلير على ملعب « بورت سان مارتن » فقوبلت بهتاف اعجاب لم تصادفه رواية قبلها وتردّد صداها من باريس الى شمالي اوربا وجنوبها ، والى شرقها وغربها ، بل تجاوز البحار وبلغ اربعة انحاء المعمور

عمد المؤلف الى الحيوانات وجعلها اشخاصاً ناطقة في روايته بما يبهر الابصار وخلب الالباب من رونق المناظر وجزالة الشعر

وقد عرف القرَّاء ان مدير مجلة الالوستراسيون قد حفظ لنفسه حق نشر هذه الرواية في مجلته مقابل مبلغ مليونٍ من الفرنكات . وافادنا روتر

ان الريش الذي لزم لملابس الممثلين كلف خمسين الف فرنك وكلفت الاسلاك والاقمشة اربعين الفاً . وبلغ وزن الريش تسعمئة كيلو وبلغت ألوانه المختلفة اثنين وثلاثين لوناً . وقد وُضع منه على رأس مدام سيمون (ممثلة دور الدجاجة) ما يساوي خمسمئة فرنك . وكلف ريش الديك (بطل الرواية) الفاً ومئتي فرنك . أما الستارات فهي ابدع ما شوهد على ملعب تمثيل . فما قول الشيخ سلامه واسكندر افندي فرح ؟ ..

وفي الرواية من الحيوانات الممثلة مئة وثلاثون حيواناً من ذوات الاجنحة وذوات الاربع منها : ثمانية واربعون نوعاً من الديوك والدجاج وعشرون بومة وثمانية ارانب ومثلها من الضفادع وثلاث حمامات وكلبان وثلاثة وطاويط وفأر وخلد وفراشةٌ ونحلٌ الخ ...

وقد اشتغل بالملابس اللازمة ثلاثون عاملاً مدة اربعة اشهرٍ تسع ساعات في اليوم اعني ٣٢ الفاً و٤٠٠ ساعة . واشترك في معداتها ارباب ثماني عشرة حرفة من خيّاطين ونساجين ونجارين وحفارين ونقاشين ومزينين الخ .

ومن عرف كل ذلك يفهم معنى قول مدير المرسح عند رفع الستار لتمثل الرواية لاول مرة :

— « إنّ ستمئة الف فرنك معلقة بهذا الستار ...! »

وقد بلغت نفقات التلغرافات التي تبودلت بشأن ترجمة « شانتكلير » وتمثيلها في عواصم اوربا عشرين الف فرنك . وستترجم الى تسع عشرة لغة بعد دفع رسوم الترجمة . ومثّلت خلال شهر واحد في اماكن مختلفة

بين جبل طارق وبطرسبورج اربعمئة مرة اعني اكثر من ثلاث عشرة مرة في كل ليلة . والمفهوم اننا سنراها قريباً في مصر . فاهلاً ومرحباً ..!

وبلغ دخل المرسح في الليلة الاولى خمسة وثلاثين الف فرنك . ويقدّرون ان ادمون روستان سيربح من تمثيلها ونشرها بالطبع عشرة ملايين فرنك .. فما رأي المؤلفين واصحاب المطابع في مصر وسوريا ..؟

وكان المسيو جيتري ممثل دور الديك قد ابى تمثيل دوره دون اشارات بيديه . وكان هذا موضوع خلافٍ بينه وبين المؤلف . فاتفق ذات يوم ان زار الممثلَ احدُ اصدقائهِ وكان المسيو جيتري في الحمّام ينشد « تحيـة الشمس » من دوره على خرير الماء فسمعه صديقه فشاقته تلك النبرات الخالبة فباغته في غرفة الحمام فوجده ضاماً يديه الى فخذيه رافعَ الرأس شاخص العينين يتلو دوره على افخم اسلوب . فصاح به : « ما ابدعك هكذا ..! » فاقتنع الممثل ورضي باخفاء يديه تحت الجناحين ..

﴿ ٢ — الموضوع ﴾

أقام اصحابُ الحق بنشر رواية « شانتكلير » قضيةً على بعض المجلات والصحف يتقاضونها مبلغاً وافراً من المال لانها نشرت قبل التمثيل موضوع هذه الرواية وبعض فقرات تمكنت من الحصول عليها . اما وقد برزت الرواية الآن على المـلاعب ونشرتها المجلة صاحبة الحق بنشرها ، فلا خوف علينا من القضايا اذا نحن لخصنا موضوعها للقراء وترجمنا لهم بعض مقاطيع منها

الفصل الاول — : يمثّل المرسحُ حوشَ الدجاج في إحدى المزارع . وتبتدئ الرواية بمؤامرةِ الطيور الداجنة على الديك (شانتكلير) لانه قد استبدَّ بسلطتهِ وهو فوق ذلك يدّعي ان الشمس لا تشرق في كلِّ صباحٍ إلاّ بفضل صياحه . وبينما ذوات الاجنحةِ على هذه الحال، اذا بطلقاتٍ نارية قد دوت في الفضاء، ووقعت في الحوش دجاجة برية . فاسرع الديك الى استقبالها وما لبث ان وقع في حبال هواها . وبينما هو يطارحُها أحاديثَ الغرام ، تأخذ هي تصفُ للطيور الداجنة أفضلية عيشة الطيور في الغابات والاحراج ، وتشرح اجملَ شرح معنى الحرية

الفصل الثاني — : يُمثل المرسح جانباً من الغابة في الليل ، وطيور الظلام تتواطئ على الايقاع بالديك ، لأن صياحهُ في كل صباح ينذرُها بطلوع الشمس التي لاتتحملها عيونُ طيور الليل . وبينما طائر البوم يخطب في الجماعـة محرضاً على الفتك بشانتكلير يُسمع صياح الديك معلناً إقبال كتائب النور واندحار جيوش الظلام . وكان الديك قد غادر حوشَ الدجاج في المزرعة ، ولحق بالدجاجة البرية في الغابة . ولما كان قضى ليلتهُ بعيداً عن رفيقاتهِ الداجنات ، متتبعاً اثر عشيقته الجديدة ، أحبَّ ان يستطلعَ طلعَ اخبارهنَّ ، فعمد الى زهرة هناك ليكلمهنَّ بالتلفون ؛ فعرف ما اصابهنَّ من الغمِّ والهمِّ اثناء غيابه عن مملكته ، فزاده ذلك اعجاباً بنفسهِ . وبينما هو على هذه الحالة أقبلت عليه الدجاجة البرية ، واخذت تعاتبه عتاب الاحباب على انشغالهِ بغيرها عنها . فعاد يبثها ما بين « جناحيه » من لواعج الهيام ...

الفصل الثالث — : لا تزال في الغابة بين اشجار السنديان والصنوبر. وشانتكلير والدجاجة البرية في شهرهما العسلي . وهي لا تزال تُغريهِ بالحرية وتفند قولهُ بان شروقَ الشمس متوقفٌ على صياحهِ . على أنه يبقى متشبثاً برأيه ومعتقداً بان مبعث النورِ من حلقهِ . وكانت جماعة الضفادع قد عرفت بمجيئه وفضّلت صياحه على تغريد البلبل سلطان الغابة فقصدته لتعرضَ عليه إقامته مقام البلبل الغرِد . فوعدها الديك خيراً . وقصد البلبل ، وكان هذا واقفاً على غصن شجرة قريبة ، وبينما هو يحادثه أُطلقتْ بندقية فاصاب طلقها البلبلَ ، ووقع على الحضيض وظهر كلبُ الصيّاد « حارس المزرعة » ليأخذَ الطريدة ، فوجد شانتكلير صديقهُ ، فعرض عليه الرجوعَ معه الى المزرعة فأبى الديكُ لان الحرية والحب قد اسرا فؤادَه على ما فيهما من المخاطر . فعاد الكلب حزيناً ، والديك يصفق بجناحيهِ ويصيح منشداً « نشيد الغابة »

الفصل الرابع — : وفيه حلٌّ عقدة الرواية على اجمل اسلوب فان الدجاجة البرية — وقد صوّر فيها المؤلف الأُنثى من الحيوانات الناطقة وغير الناطقة — اسكرتِ الديك بحبها وقضت الليل تغازلهُ حتى انه استغرقَ في النوم صباحاً ، واشرقت الشمس وهو لا يعي . ولما أفاق من سباتهِ العميق ، وجد كوكبَ النهار قد اعتلى في الافق على عادتهِ دون الحاجة الى صياحهِ . فحزن واكتأب واضمحلت احلامه واشتد به اليأس حتى قضى عليه ...

﴿ ٣ — مقاطيع من الرواية ﴾

وها نحن نترجم بعض فقرٍ من هذه الرواية الشائقة لتكون انموذجاً . يعرف القارئ منه بعض ما فيها من رقيق الشعور وسامي التصورات . ومن طالع الاصل يجد هذه الترجمة خيالاً ضئيلاً له لانه يشقُّ على المترجم ان يؤدي في ترجمتهِ تلاعب « روستان » في الكلام والمعاني تلاعباً يستحيل احياناً نقله الى لغة غير اللغة التي كتب فيها

﴿ نشيد الشمس ﴾

وهي قصيدة ينشدها الديك في الفصل الاول ليحيي الشمس عند بزوغها :

انا اعبدكِ ايتها الشمس ، انتِ التي تنشّفُ دموع ادقِ النباتات ، وتحوّل الزهرة الذابلة الى فراشة حية عندما يتلاعب هواء جبال « البيرينه » بزهر اللوز في وادي « روسيليون » بعد ان ينثره كما ينثر حظوظ البشر . . .

أعبدكِ يا مَن تدخلُ اشعتها في كل زهرةٍ وفي كل كوخ وتبارك كلَّ جبهة وتنضج كلّ خليّة فهي تتجزأُ ولكنها تبقى كاملةً كحبّ الام

انا اتغنّى بكِ ويمكنكِ ان تقبليني عابداً لك يا من تنعكس على فقاقيع الدِنان الزرقاء ، وتختارُ عند مغيبها زجاجَ نافذة حقيرة لترسل وداعها الاخير

انت تديرين زهرة « دوّار الشمس [1] » وتضيئين شقيقي الذهبي في اعلى القبّة [2] . وعند ما تمرّين من خلال اغصان الزيزفون تعكسين

---

(١) زهرة اطلق عليها العامة هذا الاسم لانها تدور دائماً الى ناحية الشمس

(٢) يشير الى الديك النحاسي الذي يوضع احياناً على القبب ورؤوس المداخن ليدل على مجرى الريح

وتحرّكين على الارض دائراتٍ ساطعة يستوقف جمالها الماشي فلا يجرأ ان يدوسها .

تحوّلين طلاء الآنية الى ترصيع بديع كما تحولين الخرقة الى لواء خفّاق . فالمجد لك في الحقول ، ولك المجد في الكروم . ولتكوني مباركة بين العشب وعلى رتاج القصور ، في عين الضبّ وعلى جناح الاوزّ اللامع . . .

انتِ تشقين لكل مخلوق شقيقاً يمتدّ وراءه فاوجدتِ لكل شيء ظلاً كثيراً ما يكون ابهى منه وهكذا جعلتِ كل ما يبهجنا مزدوجاً

اعبدك ياشمس : انت تنثرين ورداً في الهواء ، وتنيرين شعاعاً في الماء ، وتضعين لهاً في الادغال . فتؤلهّين الشجرة الشاحبة . فلولاك ايتها الشمس لبقيت الاشياء على ماهيتها

﴿ معنى صياح الديك ﴾

في الفصل الثاني تحاولُ الدجاجة البرية ان تعرف من الديك سرّ صياحهِ . فيتمنع عن أن يبوح به ، ثم يتغلب عليه الحبّ فياخذ يشرح ذلك بابياتٍ بديعة كأنه الشاعر يصف مهمته في هذه الدنيا :

الديك — : لاحظيني وانا بذاهب الصـبر ومنتهى العجب اجرحُ الارضَ باظافري كأنني افتش دائماً في الارض عن شيء ما . . .

الدجاجة البرية — : تكونِ على ما اعرف تفتش حينذاك عن شيء من الحبوب

الديك — : لا ليس ذلك ما ابحث عنه . واذا وجدت عرضاً في حينٍ من الاحيان شيئاً من الحَب فاني ادعه لدجاجاتي

الدجاجة — : وعمّ تفتش اذن وانت تبحث في الارض .. ؟

الديك — : افتش عن مكانٍ انشبُ فيه لأصيحَ ، ولا أصيح إلاّ متى تمكنت اظافري في الارض بعد تقليع العشب وإبعاد الحصى . وعند ما تخالطُ نفسي الارضَ الطيبة أغني وأنشد . وهذا بعض سرّ صياحي . وهو لا يشبه الاغاني التي تُنشد بعد التفتيش عنها ولكنه يصعد من الارض اليّ كما تصعد المادة الحيوية الى الشجرة . ويكون ذلك خصوصاً عند ما يقف الفجر متردداً على طرف السماء القاتمة فتتكلّم الارض فيّ ولا ابقى في تلك الساعة طائراً اياً كان . بل أصير النفيرَ الذي ينطلقُ منه صوتُ الارض الى السماء . وهذا الصراخ الذي ينبعث من الارض هو صراخُ الشوق الى النور ، هو هتاف الحب الشديد الهائل نحو ذاك الكائن الذهبي الذي نسميه النهار وهو ما تتوق اليه كل الكائنات . هو هتاف الرجاء الذي يبعثه الحقل المبتلّ طالباً قوس قزحٍ لكل بقعةٍ خضراء، والغابة راجيةً نوراً لكل منعطفٍ مظلمٍ فيها

هذا الهتاف الذي يمرُّ بي ليصعد الى السماء الزرقاء هو هتاف كل ما يشعر انه في هاوية وقد غضبت عليه الشمس دون ان يعرف السبب . هو هتاف البرد والخوف والضجر الذي يهتف به كلُّ من اقعده الليل الحالك، هو هتاف الوردة الواجفة وحدها في الظلام ، هو هتاف الهشيم الذي يريد ان ينشف لينُقل الى الرحى، هو هتاف الادوات وقد تركها الحاصد في الخلاء

فباتت تخشى الصدأ ، هو هتاف كل ابيضٍ ناصع ليكونَ لامعاً ساطعاً . هو هتاف كل الحيوانات الطاهرة التي لا تودّ ستر اعمالها ، هو هتاف النهر الذي يُريدُ ان تصل عينُ الناظر الى قعره ، هو هتاف الوحل الذي يريد ان ينشف ليعود تربة خصبة ، هو هتاف فخيم ينطلق من المزارع التي تريد ان تشعر بالنبات يتحرك في جوفها ، هو هتاف الشجرة التي تريد ان تزيد على زهرها زهراً ، هو هتاف عنقود العنب الاخضر الذي يريد ان يحمرّ جانبهُ ، هو هتاف الجسر الذي يتشوّف الى خفقان الاقدام عليه ، والى تلاعب ظلّ العصافير بين ظلّ الاغصان فوقه ، هو هتاف كل من يُريد الإنشادَ وخلع ثياب الحداد ، والعودة الى الحياة ... هو هتاف الى النور ينطلق من كل جمال وكل عافية ، ومن كل من يريدان يعمل عمله في النور فيرى ذلك العملَ ويراه الغير

... وعند ما يتصاعد فيَّ هذا النداء للنهار أكبّر نفسي لتكون اكثر اتساعاً وبالتالي اكثر رنيناً . وقبل ان أُطلق هذا النداء اردده في صدري بخشوع ثم ينبعث صياحي واضحاً قاطعاً فخيماً حتى ان الأُفق الخافق احمراراً يطيع ندائي هذا . وعبثاً يحاول الليل ان يرضيني بنور الغلس الضئيل فاني لا ازال أصيح حتى اجعل الشمس تتلألأ